الفصل الثامن

الحزب الوطنى تحت زعامة محمد فريد

١ ــ محمد فريد وزعامته للحزب الوطنى

٢ ــ الصراع بين محمد فريد وعلى فهمى كامل

٣ ــ الخلاف بين فريد والخديو

٤ ــ تعيين بطرس غالى رئيسا للنظار وموقف الحزب الوطنى منه

٥ ــ مقتل بطرس غالى واسبابه

١ ــ محمد فريد وزعامته للحزب الوطنى :

بعد وفاة مصطفى كامل حاول الخديو احتواء الحزب الوطنى وذلك بترشيح من يتوسم فيه السير فى ركاب القصر ، ويدين بالطاعة والولاء له ولما لم يكن فريد بالرجل الذى تتوفر فيه هذه الصفات فقد بدأ الخديو يدس دسائسه لانتخاب من يكون طوع ارادته وقد أوضح فريد ذلك فى مذكراته فقال « أرسل الخديو رجاله فى الجنازة والمأتم فالشيخ على يوسف عدو مصطفى كامل والمنافس له فى جميع أموره حضر المأتم فى الليالى الثلاث الأول وكذا عرفى باشا من رجاله أيضا ، وأخذوا يرشحون من يتوسمون فيهم الطاعة من الرؤساء مثل يوسف المويلحى أو عرفى باشا ، وبعضهم رشح الشيخ على يوسف نفسه ، ولكن كل هذا لم يفد .. ومن لعبوا دورا مهما فى هذه المسألة بايعاز من الخديو على فهمى كامل ، فانه كان يريد أن ينتخب بصفته أخ الفقيد وجهز أوراقا مكتوبا عليها اسمه ، ووزعها على بعض الحاضرين ، وأدخل فى محضر الاجتماع الكثيرين من غير الأعضاء بواسطة من وضعهم على الباب من رجاله ، ولكنه لما رأى التيار قويا ضده حول الدفة ، وخطب فى الحاضرين مرشحا لى بناء على جواب كتبه له أخوه من أوربا يوصيه فيه بانتخابى رئيسا لو فاجأه القدر المحتوم[1] .

كما أوضح أحمد شفيق أسباب محاولات الخديو منع انتخاب فريد رئيسا للحزب الوطنى فذكر أن ذلك كان يرجع الى أن فريد لم يكن بالرجل الذى يسير طوع ارادة الخديو ، لذلك فان الخديو عمل على

---

(١) مذكرات محمد فريد . ملف رقم ١ الجزء الأول ــ القسم الأول ص ٣ .

تقريب أعضاء الحزب منه واملاء ارشاداته وتوجيهاته عليهم حتى يسيروا على الطريقة التى تتفق مع أهوائه ومراميه[٢] .

وعلى كل حال فقد فشلت محاولات الخديو فى اسقاط فريد ووقف الأستاذ عثمان صبرى صهر مصطفى كامل وألقى خطبة أبان فيها أن محمد فريد هو المرشح الوحيد لخلافة مصطفى كامل ، وكانت هذه الفكرة موضع اعجاب الحاضرين قبل الاجتماع فنودى به رئيسا للحزب الوطنى[٣] ومع أن المادة الأولى من لائحة الحزب كانت تقضى بانتخاب رئيس الحزب مدى الحياة فان فريد طالب بتعديل هذه المادة وتحديد المدة التى ينتخب لها الرئيس فأجيب الى طلبه ، وتقرر جعل مدة الانتخاب ثلاث سنوات[٤] .

ولما علم الخديو بأمر تعيين فريد طلبه بالتلفون فتوجه الى سراى عابدين فقابله الخديو وهناه على انتخابه وكان من ضمن عباراته لهم « ان وجود مثلك على رأس الحركة الوطنية مفيد جدا لأنك لست محتاجا، ولا طالبا للمال ولأنك من عائلة خدمت البلاد .. ولا يمكن للانجليز أن يقولوا عنك بأنك طالب شهرة أو مال أو وظيفة[٥] » .

حمل فريد زعامة الحزب الوطنى وأخذ يشرف على تحرير جرائد الحزب الثلاثة ويوجه سياستها كما أنشىء فى أول عهده بالرئاسة نادى الحزب الوطنى وتولى رئاسته فبرهن على أنه جدير حقا بأن يحمل الرسالة ، ولكن الأمور لم تسر على المنوال الذى سارت عليه رئاسة مصطفى كامل للحزب الوطنى فقد اكتنفت رئاسة فريد مشاكل جمة منها أنه تولى زعامة الحزب فى وقت ظهرت فيه سياسة الوفاق بين

---

(٢) أحمد شفيق : المرجع السابق ص ١٤٥ .
(٣) الرافعى : محمد فريد ص ٤٥ .
(٤) نفسه ص ٤٥ .
(٥) مذكرات محمد فريد . الجزء الأول — القسم الأول ملف رقم (١) ص ٤ .

الخديو والاحتلال ، فصارت الحركة الوطنية بزعامة فريد هدفا لحرب شديدة من جانب الاحتلال والخديو معا[٦] مما جعل فريد يضاعف من جهاده .

وقد أعلن فريد أن مطالب الحركة الوطنية تنحصر فى مطلبين هما الجلاء والدستور وبذلك كان متفقا فى خطته مع مصطفى كامل الا أنه أبرز دعوة المطالبة بالدستور وجعل منها حركة عامة دعا اليها الأمة ووجهها الى مطالبة الخديو بالدستور بكتابة العرائض الى قصر عابدين[٧] ، وقد أعد الحزب الوطنى عرائض لتقديمها الى الخديو بطلب مجلس نيابى[٨] .

والواضح أن عمل هذه العرائض كان بالاتفاق مع الخديو ، وقد وضح فريد ذلك بقوله « كان الشروع فى هذا العمل بالاتفاق مع الخديو حتى اذا سافر الى انجلترا يتكلم مع الملك اداورد فى ذلك ويظهر له أن الأمة تطلب الدستور وانه أى الخديو — يوافق عليه ذلك لأنه من حقوقها[٩] » .

وأخذ الحزب الوطنى يجمع التوقيعات بطلب المجلس النيابى حتى وصلت الى حوالى نحو خمسة وسبعين ألف توقيع[١٠] ، ولما كان لهذه

---

(٦) الرافعى : المرجع السابق ص ٤٦ .
(٧) دار الوثائق : محافظ عابدين — ديوان خديو . التماسات جماعية مختلفة رقم ١٢ .
(٨) صيغة هذه العرائض ما يلى .
مولاى « اننا بكل اخلاص وثقة بفيالكم السامية نلتمس من لدنكم أن تمنحوا رعيتكم المخلصة ما منحه أبوكم الكريم لها عام ١٨٨١ وهو انشاء مجلس نيابى يكون عونا لحكومتكم السنية على نشر العلوم والمعارف ، وانت يا مولاى الأمير خير من يقدر الدستور قدره لانك نشأت نشأة عصرية شاهدت محبتك لرعيتك التى رتبها من أجل أمنيتك » .
اللواء . ١٩٠٨/٢/٢٥ وما بعدها . وانظر أيضا تقارير الأمن العام — الداخلية الموجودة بدار الوثائق تحت عنوان عرائض وطلبات من الأهالى بشأن انشاء مجلس نيابى عام ١٩٠٨ .
(٩) مذكرات محمد فريد . القسم الأول — الجزء الأول ص ٤ .
(١٠) نفسه .

الحركة دوى كبير داخل البلاد سعى الاحتلال لاحباطها فعندما سأل أحد الأعضاء فى مجلس العموم وزير الخارجيـة البريطانى عمـا اذا كان لخديو أن يمنح مصر دستورا أو مجلسا نيابيا ، فأجابه بأنه لا يمكنـه ذلك الا بعد استشارة الحكومة البريطانية مما جعل الحزب الوطنى يحتج بشدة على ما تخوله انجلترا لنفسها من الحق غير الشرعى فى التدخل بين الأمة والخديو صاحب السلطة فى منح أمته الدستور[١١] .

وعلى الرغم ممـا أبداه الخديو من ارتياح فى بداية الأمـر الى تقديم العرائض فانه قابل اتساع هذه الحركة بالفتور ، ثم تغير موقفه حيالها وبوجه خاص بعد أن أظهر الاحتلال استياءه من هذه الحركة[١٢] . ثم اتبع الحزب الوطنى أسلوبا جديدا فى المطالبة بالدستور وهو أسلوب المظاهرات الشعبية ، فكان يتجمع فى حديقة الجزيرة الآلاف ثم تسـير المظاهرة الى قلب القاهرة صادية بالدستور ، وكان دور الطلبة وخصوصا طلبة المدارس العليا بارزا فى هذه المظاهرات ففى محطـة طنطـا قام للطلبة بمظاهرة وطنية أثناء مرور الخديو بها يطالبون بالدستور ، كما تظاهر الطلبة أثناء مرور موكب الخديو فى القاهرة هاتفين الدسـتور يا أفندينا[١٣] ، وكان طلبة الحقوق يصعدون على سطح مدرسة مجاورة لقصر عابدين يرددون الهتاف للدستور[١٤] ، وقد تزايدت هذه الهتافات حتى أصبحت أقرب الى نشيد وطنى لا يظهر الخديو فى أى مكان عام الا ويواجه بها وأحيانا تختلط هذه الهتافات بزغاريد النساء[١٥] .

واتبع الحزب الوطنى أسلوب آخر فى المطالبة بالدستور ، وهـو تقديم عريضة للخديو يطلب فيها أعضاء الحزب الدسـتور ، واذا لم يتحقق مطلبهم فى مدة شهر يتوقف كافة المصريين عن دفع الضرائب

---

(١١) الرافعى : المرجع السابق ص ٥٨ .
(١٢) نفسه ص ٥٩ .
(١٣) نفسه ص ٦٢ .
(١٤) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية جـ ١ ص ٣٢ .
(١٥) دار الوثائق : مذكرات سعد زغلول كراس رقم ٩ .

للحكومة[١٦] يضاف الى ذلك أن بعض رجال الحزب الوطنى عطوا على ارهاب الخديو حتى يعلن الدستور فأرسلوا له خطابات تهديد بنسف موكبه ، كما حاولوا اظهار قوتهم فقاموا بوضع عوائق أمام القطار الخاص الذى كان يقوده الخديو بنفسه من مربوط الى الاسكندرية ، ولكن الخديو تمكن بصعوبة من ايقاف القطار[١٧] .

وعلى كل حال لم تسفر هذه الحركة عن اعلان الدستور ، ولكنها غرست فى نفوس المصريين تعلقهم بالنظام الدستورى وكراهيتهم للحكم الاستبدادى[١٨] .

ولتحقيق أهداف الحزب فى الجلاء والدستور عمل فريد على تحقيق ما يأتى :

١ — تعليم الشعب على قدر الطاقة حتى يتعرف على حقوقه فطالب بنشر التعليم الابتدائى بين جميع طبقات الشعب وأن يكون هذا التعليم الزاميا ومجانيا لكل مصرى ومصرية[١٩] كما تبنى فريد مع نادى المدارس العليا فكرة انشاء مدارس ليلية لتعليم الفقراء والعمال مجانا وهذه المدارس عرفت باسم مدارس الشعب ، وقد عهد بالتدريس فى هذه المدارس الى رجال الحزب الوطنى وأنصاره فكان المحامى والطبيب والمهندس وغيرهم يخصصون من أوقاتهم ساعة أو أكثر كل مساء يقفون فيها فى حجرة ضيقة خشنة يعلمون الفقراء مبادىء القراءة والكتابة ، وجغرافية بلادهم وتاريخها[٢٠] وقوانين المعاملات اليومية والأخلاق والآداب وغير ذلك من العلوم .

---

(١٦) د. يونان لبيب : المرجع السابق ص ١٧٦ .
(١٧) المؤيد فى ٢٨ مارس ١٩٠٨ .
(١٨) الرافعى : المرجع السابق ص ٦٢ .
(١٩) نفسه ص ١١٩ .
(٢٠) احمد بهاء الدين : أيام لها تاريخ ص ٧٣ .

والجدير بالذكر أن بذور انشاء نقابة الصنائع اليدوية تمت على يد المدارس الليلية حيث كان هناك هدف مشترك بينهما وهو حماية العامل والفلاح من الفقر ، ومساعدته عند الشيخوخة .

٢ — دعا فريد الى وضع التشريعات لحماية العمال واهتم بتأسيس النقابات لتحسين أحوال العمال وترقية أحوالهم المادية والمعنوية فأنشئت بولاق عام ١٩٠٩ أول نقابة للعمال فى مصر باسم نقابة عمال الصنائع اليدوية ثم سرت فكرة تأسيس النقابات فى عواصم الأقاليم فأنشئت نقابات لعمال الصنائع اليدوية فى الاسكندرية والمنصورة وطنطا وغيرها على غرار نقابة القاهرة[٢١] .

٣ — طور فريد طريقة الحزب الوطنى فى الكفاح فلم يعد نشاطه يقتصر على الكتابة فى الجرائد وطبع النشرات وعقد الاجتماعات والقاء الخطب بل تخطى كل ذلك الى تأسيس جمعيات للطلاب المصريين الذين يدرسون فى الخارج بهدف الدفاع عن قضية استقلال مصر[٢٢] ثم عقد المؤتمرات فى أوربا لشرح حقيقة القضية المصرية يضاف الى ذلك الاشتراك فى المؤتمرات التى تعقد فى أوربا لاظهار حقوق الشعوب المغتصبة بهدف تكوين رأى عام يناصر القضية المصرية .

يضاف الى ذلك أن فريد عمل على الاحتفاظ بوحدة الحزب وتضامن أعضائه ، وانشاء اللجان الفرعية للحزب فى أقسام العاصمة وفى البنادر والأقاليم .

---

(٢١) الرافعى : المرجع السابق ص ٩١ .

(٢٢) منبر الشرق فى ١٩٥٢/٨/١٥ الحلقة العاشرة من مذكرات الشيخ الغابانى .

٢ — الصراع بين محمد فريد وعلى فهمى كامل :

كان الخلاف الأساسى بين فريد وعلى فهمى كامل هو موقف كل منهما من الخديو ، فالأول كان يمثل تيار الديمقراطية ويتمسك بالدستور بينما الآخر كان يمثل الموالاة الشديدة للخديو[٢٣] ، وتبدو ملامح الصراع بين فريد وعلى فهمى كامل فى النقاط الآتية :

(أ) أوراق ومكاتبات الخديو لطفى كامل :

حاول الخديو استرداد الخطابات التى تثبت مقابلاته مع مصطفى كامل سواء فى أوربا أو فى بعض أماكن سرية فى مصر وذلك حتى لا يستغلها أحد من زعماء الحزب الوطنى فى الضغط عليه أو التشهير به أمام الانجليز ، وكان طريق الخديو لاسترداد هذه الأوراق هو بث بذور الخلاف بين رجال الحزب ومحاولة اغراء بعضهم بالمال وقد كشف محمد فريد عن ذلك فى مذكراته فقال « رغما عما كان بينى وبين مصطفى كامل من الصداقة والاخلاص المتبادل فانه كان يخفى على بعض أموره الخاصة السياسية ومن ذلك مسألة هذه الأوراق فانى لم أطلع عليها ولم أراها مطلقا ، ولكن لما أشيع عقب وفاته أن أخاه على بك سلم هذه الأوراق الى الخديو مقابل مبلغ عظيم أخذت أبحث سرا وهاك خلاصة ما وقفت عليه : علمت من الدكتور صادق رمضان أنه يعرف الأوراق وان مصطفى كان محتفظا بها جيدا وواضعها تحت مخدته فى سرير مرضه .. وان الواسطة فى أخذ هذه الأوراق كان خليل بك حمدى وكيل مدرسة البوليس ومحمود بك حسنى ناظر مدرسة عابدين .. وان الخديو بنفسه أتى بسيارة الى ميدان الأزهار ومعه شوقى بك[٢٤] وأحد

---

(٢٣) الاهرام فى ١٩٧٣/٨/٣ مقال للدكتور محمد انيس تحت عنوان « الصراع بين الخليفة والورثة — محمد فريد وعلى فهمى كامل » .

(٢٤) يقصد احمد شوقى شاعر المعية .

ياورانه وهناك قابله على بك أو ركب معه وسلمه الأوراق[٢٥] » .

ويؤكد محمد فريد تواطؤ على فهمى كامل مع الخديو فى ضرب وحدة الحزب الوطنى أثناء وبعد تسليم أوراق مصطفى كامل فيقول « والذى يؤيد هذه الحادثة .. أن الخديو ابتدأ يستعمل الشدة مع الحزب ويبث الدسائس ضده بعد الحصول عليها ، وان على فهمى الذى كان يشتكى الفقر المدقع سافر عقبها الى أوربا ومنها الى الآستانة وهناك قابل الخديو أيضا واستلم منه مبلغا من المال وسافر الى المدينة المنورة لحضور الاحتفال بافتتاح السكة الحديد الحجازية ثم عاد الى مصر وأخذ يدس دسائسه لايجاد فشل فى لجنة الحزب الادارية وليضع يده على جريدة اللواء ليدير سياستها بما يوافق الخديو[٢٦] » .

وهنا يطرأ سؤال هو لماذا هذا الموقف المضاد من على فهمى كامل الى محمد فريد ؟

الواقع أن على فهمى كامل كان يعتقد أن رئاسة الحزب الوطنى كانت له بحق الميراث وأن فريد اختلسها منه لذلك أخذ يحاربه فى الباطن بينما يظهر الوقوف معه فى الظاهر[٢٧] يضاف الى ذلك أن على فهمى كامل لم يكن ستريحا لسياسة فريد المتشددة تجاه الخديو كما أن حبه للمال جعل من السهل على الخديو اجتذابه الى صفه والتجمع ضد محمد فريد ونقد سياسته ومحاولة اظهاره بعدم القدرة على ادارة الحزب وصحافته .

---

(٢٥) مذكرات محمد فريد . الجزء الاول — القسم الاول ص ٨ .

(٢٦) نفسه .

(٢٧) ان الورثة كثيرا ما يعتقدون انهم يرثون الزعيم الوطنى فى كل شىء حتى زعامته لأمته ويبدو ذلك جليا فى التاريخ المصرى فحين توفى سعد زغلول بدا الصراع بين مصطفى النحاس وبين ما يعرف بالحزب السعدى الذى حظى بتاييد صفية زغلول .
الاهرام . مقال الدكتور محمد انيس السابق الذكر .

(ب) اضراب عمال اللواء عن العمل

دبر على فهمى كامل مع المنشقين على سياسة محمد فريد مؤامرة لتعطيل جريدة اللواء فحرضوا عمال الطباعة بالجريدة على تعطيلها وقد أوضح محمد فريد ذلك فى مذكراته فقال « بعد عودة على بك من أوربا أخذوا فى تدبير الاعتصاب .. وفى صبيحة ٣ نوفمبر .. لم أجد أحدا من العمال لا كبيرا ولا صغيرا وبعد قليل حضر محمود أفندى عزت مندوبا من قبل المعتصبين فلم نتفق وأخيرا استدعيت بعض الاخوان بالتلفون واستحضرنا عمالا آخرين وجمعنا الجرنال فى مطبعة الجريدة بعد اتفاقى مع أحمد بك لطفى السيد لأن عامل آلة الطبع كان قد رفع منها بعض قطع لتعطيلها[٢٨] ومما يؤكد اشتراك الخديو وعلى فهمى كامل فى هذه المؤامرة أن الخديو أرسل لعمال اللواء المضربين مبلغ ستين جنيه اعانة[٢٩] ، كما أن السيد أفندى على[٣٠] أحد المتواطئين مع على فهمى أخذ معه كل الأصول الموجودة عنده تعطيلا للعمل[٣١] » يضاف الى ذلك أن القطع التى أخفاها العمال من آلة الطباعة بهدف تعطيلها تم العثور عليها بمعرفة على فهمى كامل[٣٢] .

وعلى كل حال فقد فشلت عطية الاضراب حيث استبدل فريد العمال المضربين بغيرهم كما أن طلبة المدارس العليا قاموا متطوعين بالعمل بدلا من العمال المضربين واشتغلوا فى صف حروف الجريدة لدرجة أنها

---

(٢٨) مذكرات محمد فريد . الجزء الأول . القسم الاول ص ١٠ — ١١ .
(٢٩) نفسه .
(٣٠) محرر باللواء .
(٣١) مذكرات فريد ، ص ١٠ .
(٣٢) نفسه ص ١١ .

لم تحتجب يوما ، وبذلك أذعن العمال المضربين وعادوا الى عملهم بدون شروط[٣٣] .

(ج) مصر الفتاة فى مواجهة اللواء

بعد أن فشل على فهمى كامل ومجموعة المنشقين على محمد فريد فى السيطرة على جريدة اللواء قاموا بانشاء جريدة مصر الفتاة لتعبر عن آرائهم وتنتقد سياسة محمد فريد وتحارب اللواء ، وكان ذلك بتشجيع من وزارة الداخلية ، ولكن فريد نجح فى ضرب المؤامرة ومحاصرة حركة الانشقاق فزار مقر الجريدة الجديدة وشجع محرريها على العمل وأرسل لهم صورة خطبته السنوية لنشرها فى جريدتهم وكان قد ذكر فيها أن الحزب الوطنى أصبح له جريدتان بدلا من جريدة واحدة[٣٤] .

وقد انحصر الخلاف بين الجريدتين آنذاك حول التنديد بسياسة الخديو ففى حين قامت اللواء بدور رئيسى فى التنديد بسياسة الوفاق بين الخديو والمحتلين كانت جريدة مصر الفتاة تؤيد الخديو وسياسته وهكذا نجح الخديو فى ايجاد الشقاق بين أعضاء الحزب الوطنى ولكن هذا النجاح لم يستمر طويلا فسرعان ما التأمت الصفوف بفضل تذرع فريد بالصبر ومطالبته الجميع بالحذر من الدسائس التى تحاك بالحزب والمخاطر التى تترتب على ذلك ففى جلسة المؤتمر الوطنى التى عقدت فى ٢٥ ديسمبر ١٩٠٨ ركز فريد على ضرورة التضامن والوقوف فى وجه الدسائس التى قصد بها خصوم الحركة الوطنية ايقاع الفرقة والانقسام

---

(٣٣) الرافعى : المرجع السابق ص ٧٧ ..
والجدير بالذكر ان الخلافات بين محررى اللواء لم تكن من نبت سياسة فريد بل انها كانت موجودة فى حياة مصطفى كامل للتفاصيل . انظر الخطاب المرسل من مصطفى كامل الى أحمد حلمى المحرر باللواء والمنشور ضمن ملاحق الكتاب .

(٣٤) مذكرات محمد فريد : ص ١١ .

بين أعضاء الحزب وكيفية مقاومة هذه الدسائس وحفظ الحزب من الانحلال[٣٥] ، كما أوضح بأن المسألة مسألة مبادىء لا أشخاص وأنه مهما تغيرت الأشخاص أو تبدلت فيجب أن يكون المبدأ ثابت وهو خلاص مصر من الاحتلال ومن سلطة الفرد[٣٦] .

(د) الغاء جريدتى الحزب الوطنى الفرنسية والانجليزية

ورغم محاولات فريد توحيد الصفوف والمحافظة على وحدة الحزب فقد استمر الخديو فى التآمر على الحزب وعرقلة أعماله وظهر ذلك واضحا فى الغاء جريدتى الحزب الفرنسية والانجليزية ورواية الرافعى عن الغاء هاتين الصحيفتين لا تختلف عن رواية محمد فريد كثيرا فيرى الرافعى أن سبب الغاء الجريدتين يرجع الى ازدياد نفقاتهما وعجز مواردهما عن الوفاء بالالتزامات المطلوبة وبوجه خاص لأن القراء الأجانب لم يقبلوا عليهما ، بل كان أغلبهم يقاطعونهما فحرمتا من أجل ذلك أهم مورد للايراد الصحفى وهو الرواج واستنفدتا تدريجيا رأس مال الشركة الذى جمع للانفاق عليهما . ولما نفد رأس المال أنفق عليهما الحزب من ماله نحو ٢٥٠٠ جنيه ثم لم يستطع أن يتابع أداء نفقاتهما الباهظة فاضطر لالغائهما فى أوائل عام ١٩٠٩[٣٧] .

أما محمد فريد فيذكر أن رأس مال « الاستندار » بعد وفاة مصطفى كامل كان سبعمائة جنيه وكسور وان هذا المبلغ لا يكفى لسير الجريدة وقد وعد عمر بك سلطان بأن « يصرف من ماله كل ما يلزم لحفظ كيان

---

(٣٥) الرافعى : المرجع السابق ص ٨٢ — ٨٤ .
(٣٦) نفسه ص ٨٦ .
(٣٧) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٠٠ .

الاستندار[٣٨] ولكن طلعت حرب أقنعه بعدم صرف شيء » لأن الجريدة لا يمكنها الاستمرار على أى حال وبذلك اضطررنا لالغائها فى أول ١٩٠٩[٣٩] » وقد نسب البعض لمحمد فريد عدم القدرة على الاستمرار فى أعمال مصطفى كامل ولكن من الواضح أن تكاليف هاتين الجريدتين كانت تثقل كاهل الحزب لدرجة أن مصطفى كامل وأخاه صرفا على الجريدتين فى سنة واحدة ما يزيد عن ثلاثة عشر ألف جنيه .

(هـ) الخلاف على ملكية اللواء :

قام الخديو وأتباعه بمزاولة سياسة الضغط على الحزب الوطنى عن طريق ايقاع الخلاف بين أعضاء لجنته الادارية ، وقد لعب على فهمى كامل ومجموعة المنشقين على فريد دورا رئيسيا فى اغلاق اللواء فكان لطلعت حرب دور بارز فى تحريض عمر سلطان على عدم المساهمة فى ملكية الواء غير أن فريد تمكن من اقناع عمر سلطان حتى وقع على توقيع شركة التأسيس فى غياب طلعت حرب ، ولما وقع الاشكال القضائى بين على فهمى كامل واخوته وزوج أخته[٤٠] تمكن يوسف المويلحى أحد رجال

---

(٣٨) مذكرات محمد فريد جـ ١ ، ص ١٢ .
(٣٩) نفسه .
(٤٠) كان على فهمى كامل يمتلك نصف اللواء بعقد كتبه له اخيه قبل وفاته ، ولما خسر مبالغ باهظة بسبب اشتغاله فى البورصة واضطر الى الاستدانة اتفق مع اخيه واختيه على ان يرفعا عليه دعوى ببطلان العقد الذى يملك نصف اللواء بمقتضاه حتى اذا حكم لهم لا يستطيع دائنيه الحجز على نصف الجريدة واتفق معهم على ان هذه القضية صورية واخذ عقودا منهم ببيع نصيبهم له اذا حكم لصالحهم ثم تثاقل وأهمل فى الدفاع حتى حكم لهم ، وعند ذلك تداخل عثمان صبرى زوج احدى الاختين فى الأمر ، وحصل بالتأثير على زوجته على كتابة تنفى الكتابة التى اخذها على فهمى عليها ، وبصفته وكيلا عن زوجته رفع دعوى باثبات ملكية زوجته ومن معها لنصف اللواء وطلب تعيين حارس قضائى وهو يوسف المويلحى أحد رجال البوليس السرى بالداخلية على اللواء ، وبعد مرافعات طويلة حكم فعلا بتعيينه .
مذكرات محمد فريد ص ١٣ .

بوليس سرى الداخلية من وضع يده على اللواء فحاول التدخل فى سياسة الجريدة والاطلاع على كل ما يكتب فيها ولكن فريد رفض ذلك بصفته رئيسا للحزب وصاحب الاشراف على جريدته ، ولما أصر المويلحى على موقفه[٤١] ترك فريد اللواء وأعلن بأنها أصبحت لا علاقة لها بالحزب وأسس جريدة العلم[٤٢] وسار اللواء على خطة التنديد بمحمد فريد ومهاجمته[٤٣] ، واستمر الحال على ذلك حتى عزل المويلحى وعين مكانه على فهمى كامل واستمر اللواء بين الحياة والموت حتى أغلق نهائيا فى ٣١ أغسطس ١٩١٢ .

وهكذا انتهت حياة صحيفة اللواء بعد أن ظلت ميدانا للكفاح أكثر من اثنى عشر سنة كانت فيها مثالا للجهاد فى سبيل رفعة الوطن[٤٤] وبذلك أغلقت الصحف الثلاثة التى أسسها مصطفى كامل بعد سلسلة من المؤامرات دبرها على فهمى كامل بمساعدة وتأييد الخديو بهدف اضعاف الحزب الوطنى والسيطرة عليه ، ولكن محمد فريد لم تهن عزيمته فعلى الرغم من أن الوزارة قررت أيضا تعطيل جريدة العلم لسان حال الحزب الوطنى بحجة انها لسان حال حزب اتخذ رئيسه لنفسه خطة التهييج والاثارة فقد اتخذ الحزب الوطنى جريدة الشعب لسان حاله ووسيلة للاتصال بينه وبين الجماهير[٤٥] .

---

(٤١) فى اثناء التنازع بين الحارس القضائى على شركة اللواء ومحمد فريد كتب يوسف المويلحى مقاله يحتكم فيها الى الراى العام ذكر فيها مسألة تعيينه حارسا قضائيا موضحا ان ذلك يتيح له الاشراف على كل ما يصدر فى اللواء كما انه يرى الا يسير اللواء على سياسة مناهضة للانجليز والخديو حتى لا تتعرض للمصادرة والخسائر المادية .
اللواء . العدد ٣٢٠١ فى ١٩١٠/٢/١٠ تحت عنوان « كلمة الى الراى العام » .

(٤٢) مذكرات محمد فريد ص ١٣ .

(٤٣) انظر اللواء : العدد ٣٢٣٤ فى ٢٧ مارس ١٩١٠ تحت عنوان « فريد بك والحزب الوطنى » .

(٤٤) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٨٨ .

(٤٥) نفسه ص ٢٨٨ — ٢٨٩ .

٣ ــ الخلاف بين فريد والخديو :

لما أيقن فريد من تحالف الخديو مع المحتلين على أثر سياسة الوفاق لم يجد بديلا غير أن يتصدى للقوتين معا دون أن يبالى بغضبهما أو تحالفهما ضده فانتقد زيارات جورست لقصر عابدين كما انتقد توثيق العلاقات بين الخديو والمعتمد البريطانى وكتب مقالات فى اللواء تحت عنوان « ماذا يقولون » بدأ أولها فى ١١ ابريل ١٩٠٨ وقد عرض فيها بالخديو وسياسته وذكره بمواقفه السابقة من الانتصار للحركة الوطنية والدستور(٤٦) .

ولما سافر فريد الى أوربا فى مايو ١٩٠٨ للدفاع عن القضية المصرية التقى ببعض رجال السياسة والقلم فى فرنسا كما سافر الى انجلترا وقابل المستر بلنت وبعض أعضاء البرلمان الانجليزى(٤٧) وهناك طالب بالجلاء واعادة الدستور مما ضايق الخديو الذى كان يعمل على الحفاظ على سياسة الوفاق مع الانجليز فحاول ابعاد فريد عن الاتصال بالجماهير وتخريب الندوات السياسية التى يقيمها الحزب الوطنى فعندما سافر فريد الى الزقازيق مع بعض رجال الحزب لالقاء خطبة بمناسبة تاريخ دخول الانجليز لمصر تصدى لهم أنصار الخديو بالمحطة وحاولوا منع الاحتفال ، ولكن لم يتحقق مقصدهم(٤٨) .

وقد جاهر الخديو بعدائه لفريد بعد أن فشل فى احتوائه فرماه وأنصاره بالتسرع فى حديث له مع مكاتب جريدة الطان الباريسية فى ابريل ١٩١٠ اذ قال « لقد اشتغلت دائما فى ترقية بلادى وتقدمها فى الحضارة ولكن للأسف وجد قوم متسرعون جدا أخروا تقدمها الطبيعى

---

(٤٦) اللواء فى ١١ ابريل ١٩٠٨ تحت عنوان « ماذا يقولون » .

(٤٧) مذكرات فريد ص ٥ .

(٤٨) نفسه ص ٥ .

بالحاحهم فى مطالب سابقة لأوانها ، ومصحوبة بالضوضاء[٤٩] » .

وعرج فى حديثه على الاحتلال وجورست فقال « ولى وطيد الأمل فى القيام بمهمتنا بمساعدة البلد الذى يؤيد مصر تأييدا عظيما فى رفع شأنها وتمدينها ، وان وجود ممثل هذا البلد سير الدون جورست بيننا يعتبر ضمانة وثيقة لنا لتحقيق ذلك[٥٠] .

وقد رد فريد على ذلك بمقالتين كشف فيهما عن خطورة سياسة الوفاق على القضية المصرية وانتقد اتهام الخديو له بالتسرع وعلى كل حال فانه يتضح من أحاديث الخديو انتقاده للسياسة العدائية التى كان يجرى عليها الحزب الوطنى ضد الانجليز ، وتمسكه بسياسة الوفاق التى سار عليها جورست .

ولكى يرهب الخديو أعضاء الحزب الوطنى وخصوصا محمد فريد اتهم رجال الحزب بأنهم يدبرون المؤامرات لاغتياله فنشرت المؤيد أنها علمت بخبر اغتيال الخديو عن طريق خطاب مرسل الى شخصية كبيرة بالقاهرة تحمل رتبة مشير[٥١] .

وازاء ذلك كتب محمد فريد يرد على هذا الاتهام فقال نشرت المؤيد أمس جوابا يدعى أنه مرسل اليه من أحد أعيان الآستانة برتبة مشير .. ولكنه لم يؤكد اسم المرسل ولا المرسل اليه ، وبما أن هذه فرية جديدة من مختلقات صاحب المؤيد يريد بها الايقاع بين الحزب الوطنى وبين الجناب العالى فأنا أعلن وأصرح بأن هذا الجواب مختلق وبأنى لم أكاتب أى انسان بالاستانة وان كان شيخ المؤيد صادق فى دعواه فيذكر اسم المرسل اليه خصوصا وأنه كما يقول من أنصار الحزب الوطنى[٥٢] » .

---

(٤٩) الرافعى : المرجع السابق ص ١٦٥ .
(٥٠) نفسه ص ١٦٥ .
(٥١) المؤيد : فى ١٩٠٨/١٠/٢٤ .
(٥٢) اللواء : العدد ٢٧٨٨ فى ١٩٠٨/١٠/٢٥ .

ورد المؤيد على اتهامات فريد له بأن الخبر الذى نشره وصله من محسن بك سكرتير المشير مختار باشا[٥٣] ولكن فريد عقب على ذلك بأن أدلة المؤيد تفيد كذبها لأن محسن بك المذكور كان قد مات منذ أكثر من أربع سنوات[٥٤] .

على كل حال فاننا لا نستبعد أن الحزب الوطنى حاول ارهاب الخديو حتى يعدل عن موقفه خصوصا وأن التنظيمات السرية والتخطيط لعمليات الارهاب والاغتيالات السياسية كانت قد وفدت الى مصر مع طلاب الحزب الوطنى الذين كانوا يتلقون تعليمهم فى الخارج وقد بدأت هذه الحركة بكتابة خطابات التهديد للخديو وبالمظاهرات التى كانت تضم الألوف ويشترك فيها أحيانا زعيم الحزب الوطنى وبعض أعضائه يرددون الهتافات المعادية للخديو ، وتارة باحداث فرقعة تحت القطار المسافر بالخديو الى الاسكندرية وأحيانا بوضع عوائق أمام قطار الخديو الخاص أثناء مروره من مريوط الى الاسكندرية[٥٥] .

ونتيجة لذلك رأى الخديو وصنائعه ضرورة ادخال فريد السجن فانتهزوا فرصة القائه خطبة فى المؤتمر الوطنى ١٩١٢ فأوعزوا الى الحكومة باتخاذ الاجراءات اللازمة لمحاكمته وابقائه رهن السجون بواسطة سلسلة من المحاكمات لا تنتهى حتى اذا خرج من سجنه تدبر له تهم جديدة يدخل بسببها السجن ثانية[٥٦] .

٤ — تعيين بطرس غالى رئيسا للنظار وموقف الحزب الوطنى منه

نتيجة لسياسة الوفاق كان من الضرورى تعيين رئيس للنظار يجمع بين الولاء للخديو والولاء للاحتلال فى آن واحد ، ولما كان مصطفى

---

(٥٣) المؤيد فى ١٩٠٨/١٠/٢٩ .
(٥٤) اللواء : العدد ٢٧٩٠ فى ١٩٠٨/١٠/٣١ .
(٥٥) مذكرات سعد زغلول . كراسة ٩ ص ٤٤٠ .
(٥٦) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧٠ .

فهمى رئيس النظار لا يستطيع القيام بهذه المهمة نظرا لخلافاته المستمرة مع الخديو وقيامه بالوقيعة بينه وبين المعتمد البريطانى لدرجة أن جورست طلب منه أن يعرض كافة الأمور على الخديو قبل عرضها عليه تمشيا مع سياسة الوفاق[٥٧] كما أنه تصرف معه تصرف الذى يريد حمله على الاستعفاء[٥٨] ونتيجة لذلك قدم مصطفى فهمى استقالته فى ١١ نوفمبر ١٩٠٨ وتم تعيين بطرس غالى مكانه بناء على توصية من جورست[٥٩] .

ونظرا لمواقف بطرس غالى المتعددة ضد الحركة الوطنية فقد كان تعيينه فى منصب رئيس النظار بمثابة لطمة شديدة للحزب الوطنى وقد عبرت صحفه عن ذلك وأظهرت تألمها لميوله المؤيدة للاحتلال[٦٠] وأصدر الحزب بيانا برر فيه رفضه لتعيين بطرس غالى فقال ان ذلك يرجع الى توقيعه على الاتفاق الثنائى الخاص بالسودان ولدوره فى محاكمات دنشواى يضاف الى ذلك ما اشتهر به من تحيز لفئة دون أخرى[٦١] .

وهاجمت جريدة « القطر المصرى » تعيين بطرس غالى رئيسا للوزراء واعتبرت أن ذلك يعتبر تقليلا من شأن المسلمين كما أثارت وبطريقة غير مسئولة الشقاق بين عنصرى الأمة[٦٢] .

أما عن اللواء فبرغم من أن موقفها كان معاديا لبطرس غالى فانها طالبته بأن يمحو ما نقش فى الأذهان من تأثير أعماله الماضية[٦٣] .

---

(٥٧) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ القسم الثانى ص ١٤٢ — ١٤٣ .
(٥٨) دار الوثائق : مذكرات سعد زغلول . الكراسة رقم ٩ ص ٣٨٠ .
(59) Stores, Ronald : Orientations p. 61
(٦٠) اللواء : فى ١٥ نوفمبر ١٩٠٨ مقال لعلى فهمى كامل تحت عنوان « انتنى دنشواى » .
(٦١) اللواء فى ١٨ نوفمبر ١٩٠٨ تحت عنوان « الوزارة الجديدة والحزب الوطنى » .
(٦٢) القطر المصرى : العدد ٣٠ تحت عنوان « تسقط وزارة بطرس غالى القبطى » .
(٦٣) اللواء : فى ١٣ نوفمبر ١٩٠٨ .

وعلى كل حال فقد دعم تعيين بطرس غالى سياسة الوفاق وكان أداة لضرب الحركة الوطنية فقد أعيد فى عهده قانون المطبوعات الصادر عام ١٨٨١[٦٤] . كما صدر قانون النفى الادارى الذى جعل من حق السلطة الادارية نفى أى شخص ترى فيه خطورة على الأمن العام ثم اختتمت الوزارة حياتها بالموافقة على مد امتياز قناة السويس لمدة أربعين عاما .

ونتيجة لمواقف وزارة بطرس غالى سواء فى محاولاتها كبت أفواء الحركة الوطنية أو فى مواقفها الموالية للاحتلال اجتمعت اللجنة الادارية للحزب الوطنى فى ٢٦ مارس ١٩٠٩ وقررت ارسال خطاب احتجاج الى الخديو عبرت فيه عن استيائها من العودة لتطبيق قانون المطبوعات[٦٥] كما أرسلت تلغرافات الى ديوان الخديو احتجت فيها على تطبيق هذا القانون[٦٦] كما هاجمت اللواء قانون المطبوعات وتساءلت عن مصير الصحافة بعد تطبيقه[٦٧] ، ولم يقف الأمر عند ذلك بل اندفعت المظاهرات فى شوارع القاهرة مما أدى الى اضطراب النظام وزيادة متاعب البوليس فى حفظ الأمن[٦٨] ، وتجمع المتظاهرون عند حديقة الجزيرة ينادون بحياة الحزب الوطنى والغاء قانون المطبوعات[٦٩] ثم هاجم الخطباء تصرفات الحكومة وموقفها من الصحافة وحرية الرأى

---

(٦٤) يذكر سعد زغلول انه عندما دار الكلام عن الصحافة بين الخديو وبطرس غالى اشار الخديو الى ضرورة تنفيذ قانون المطبوعات ، ورغم ان بطرس تحفظ على ذلك فقد استقر الأمر على تنفيذه .
مذكرات سعد زغلول كراس رقم ٩ ص ٤١٠ .

(٦٥) أحمد شفيق : المرجع السابق ص ١٧٨ .

(٦٦) دار الوثائق : ديوان خديو ١٩٠٩ — تلغرافات جماعية الى الخديو .

(٦٧) اللواء فى أول فبراير ١٩٠٩ تحت عنوان « ماذا يراد بالصحافة »
(68) F.O. 407 — 174 : LoWther to Grey Constantinople Morch 15,1909 No 187 Part Lxxl

(٦٩) اللواء فى ٢٧ مارس ١٩٠٩ تحت عنوان « المظاهرة الكبيرة » .

العام . ونتيجة لخطورة الموقف حاصرت قوات من البوليس والجيش البريطانى مكان المتظاهرين وطاردوهم فى الشوارع بالعصى وسنابك الخيل واطلاق الأعيرة النارية فى الهواء[٧٠]، كما ألقت الحكومة القبض على أحمد حلمى المحرر باللواء وأحد الخطباء فى المظاهرة وقدمته مع آخرين للمحاكمة بتهمة الطعن فى الوزارة والخديو[٧١] ، ورغم ذلك فلم تهدأ الأمور اذ قام طلبة المدارس بمظاهرات طافوا أثناءها بمنازل النظار ورددوا هتافات « فليسقط الظلم ، فليسقط قانون المطبوعات فليحى العدل[٧٢] » كما أقسموا بأن يقتلوا كل ناظر اشترك فى التصديق على مشروع تقييد الصحافة[٧٣] .

هذا عن موقف الحزب الوطنى من اعادة قانون المطبوعات وقانون النفى الادارى أما عن موقفه من مشروع امتياز قناة السويس فيتضح أن انجلترا رأت مد فترة امتياز قناة السويس الذى ينتهى العمل به عام ١٩٦٨ أربعين عاما فى نظير دفع مبلغ أربعة ملايين من الجنيهات تدفعها الشركة للحكومة ، وقد ظل المشروع فى طى الخفاء حوالى سنة ، وكان فى عزم الوزارة تنفيذه نظرا لنقص الاحتياطى المالى فى ميزانية الحكومة ، ولكن محمد فريد تمكن من الحصول على نسخة المشروع فى أكتوبر ١٩٠٩ فبادر الى نشرها فى جريدة اللواء موضحا مدى الغبن الذى ستتعرض له مصر من وراءه[٧٤] مما أثار الرأى العام ، فقد اهتم الناس بهذا الموضوع ورأت الأحزاب ضرورة الاتفاق على طريقة واحدة لمواجهة هذا المشروع[٧٥] كما طالبت الصحافة بعرض المشروع على

---

(70) F.O. 407 — 174 . Grahan to Grey, Cairo April 4, 1909 No 13 .

(٧١) اللواء فى ١١ ابريل ١٩٠٩ تحت عنوان « قضية الحرية » .
(٧٢) مذكرات سعد زغلول . كراس رقم ١٣ ص ٧٢١ .
(٧٣) نفسه .
(٧٤) الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ص ١٣١ .
(٧٥) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٧ ص ٨٩٧ .

الجمعية العمومية ، ونظرا لخطورة المسألة اجتمعت اللجنة الادارية للحزب الوطنى فى ٢٩ أكتوبر ١٩٠٩ وقررت دعوة الحكومة الى أخذ رأى الأمة قبل تنفيذ مشروع مد امتياز القناة[٧٦] . كما أرسلت البرقيات الجماعية الى الخديو عباس الثانى رفض فيها أصحابها تجديد امتياز القناة ، وطالبوا بعرض الموضوع على الجمعية العمومية[٧٧] .

ولما تحرج موقف الخديو أوعز الى بطرس غالى رئيس النظار بأن يذكر أمام المستشارين الانجليز بأنه لا يقف عقبة فى سبيل تنفيذ المشروع ، ولكنه تأثر بأقوال الجرائد والبرقيات التى وصلته ونظرا لما آلت اليه البلاد من الغليان حاول الخديو اقناع جورست بعرض المشروع على الجمعية العمومية[٧٨] ، ومع أن جورست لم يعترض على ذلك الا أنه اشترط بأن توافق الحكومة على المشروع أولا ثم تترك أمر تنفيذه على موافقة الجمعية العمومية[٧٩] على أن يدافع سعد زغلول عن المشروع أمام الجمعية العمومية[٨٠] .

ونتيجة لذلك قامت الوزارة بدعوة الجمعية العمومية للانعقاد لاحالة المشروع عليها .

وعن موقف الخديو من المشروع فيختلف رأى سعد زغلول فيه فأحيانا يذكر أن الخديو كان موافقا على المشروع ثم يعود فيذكر أن الخديو كان يظهر الموافقة ويبطن الخلاف[٨١] ولكننا نرى أن الخديو كان

---

(٧٦) الرافعى : المرجع السابق ص ١٣٣ ، اللواء فى ١٣ اكتوبر ١٩٠٩ تحت عنوان اجتماع اللجنة الادارية للحزب الوطنى .

(٧٧) دار الوثائق : محافظ عابدين — ديوان خديو . التماسات جماعية — تلغرافات محفظة رقم ١ .

(٧٨) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٧ ص ٨٩٥ .

(٧٩) مذكرات سعد زغلول : كراس ١٧ ص ٨٩٥ .

(٨٠) أحمد شفيق : المرجع السابق جـ ٢ القسم الثانى .

(٨١) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٨ ص ٩٢٥ .

مضطرا للموافقة حتى لا يعرض سياسة الوفاق للانهيار والدليل على ذلك أن الشيخ على يوسف الذى كان يساير الخديو فى سياسته شدد الوطأة على المشروع فى جريدته كما أنه انتقد المشروع فى خطبته بنادى حزب الاصلاح وانتقد المستشار المالى الانجليزى وطلب من الجمعية العمومية تأجيل النظر فى هذا المشروع حتى تمنح البلاد مجلسا نيابيا[٨٣] ، ولكى تتضح مخاطر المشروع أمام الرأى العام قام محمد فريد بتوضيح أبعاده السياسية فأصبح أهمية حفظ مرافق الأمة فى أيدى أبنائها وهاجم تمليك مرافق البلاد الى الشركات الانجليزية وناشد أعضاء الجمعية العمومية الاستقلال فى الفكر والشجاعة الأدبية لأن مصالح الأمة فوق كل شىء[٨٤] كما دعا الحزب الوطنى الى القيام بمظاهرة عند اجتماع الجمعية العمومية للمناداه برفض المشروع .

وفى ٩ فبراير ١٩١٠ افتتحت جلسات الجمعية العمومية برئاسة الأمير حسين كامل ، وقد حاولت الحكومة استعمال الشدة مع الأعضاء لكى يوافقوا على المشروع فقد كان بطرس غالى يعتقد أن المشروع نافع للبلاد[٨٤] كما كان الأمير حسين كامل يؤيد المشروع[٨٥] ولكن الأعضاء أصروا على رفض المشروع . وفى ١٠ فبراير شكلت الجمعية لجنة مكونة من خمسة عشر عضوا لدراسة المشروع وكتابة تقريرا عنه ، وقد انتهت اللجنة الى عدة قرارات أهمها :

عدم قبول مشروع عقد الاتفاق المعروض على الجمعية لأنه ليس فى صالح البلاد بل يعد غبنا فاحشا على مصر[٨٦] ونظرا للمعارضة

---

(٨٢) مذكرات سعد زغلول ، كراس رقم ١٨ ص ٩٢٢ .

(٨٣) اللواء . فى ٣٠ يناير ١٩١٠ تحت عنوان « مسألة قناة السويس — اعتبارات سياسية » .

مذكرات سعد زغلول . كراس رقم ١٨ ص ٩٢٣ .

(٨٤) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٧ ص ٨٩٦ .

(٨٥) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٨ ص ٩٢٤ .

(٨٦) الرافعى : المرجع السابق ص ١٥١ — ١٥٢ .

الشديدة للمشروع فى الجمعية العمومية لم يجد الأمير حسين كامل بديلا عن الاستقالة من رئاسة جلسات الجمعية خصوصا بعد أن فشل فى تحويل دفة المناقشات لصالح الحكومة[٨٧] .

وفى وسط الجو المشحون بالتوتر أطلق ابراهيم الوردانى رصاص مسدسه على بطرس غالى فأصابه اصابات بالغة أودت بحياته .

واستمرت المناقشات فى الجمعية العمومية ، وفى النهاية تقرر رفض المشروع بأغلبية الآراء ، فكانت هذه هى المرة الأولى التى استطاعت فيها الجمعية العمومية فرض رأيها على الحكومة .

وهكذا نجح ضغط الرأى العام المصرى فى اجبار الانجليز والوزارة على العدول عن مشروع له مساس كبير بالاقتصاد المصرى .

٥ ــ مقتل بطرس غالى وأسبابه :

اجتاح الغضب النفوس بسبب رغبة الحكومة فى مد امتياز قناة السويس ومحاولات بطرس غالى اجبار أعضاء الجمعية التشريعية على قبوله ونتيجة لذلك رأت القيادة الثورية للحزب الوطنى ضرورة التخلص من بطرس غالى لمواقفه المثيرة للشكوك ضد الوطنيين ، وفى تمام الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الأحد ٢١ فبراير ١٩١٠ وبينما كان بطرس غالى خارجا من ديوان وزارة الحقانية أطلق عليه « ابراهيم ناصف الوردانى » رصاصات مسدسه خر على أثرها مضرجا فى دمائه[٨٨] .

ورغم أن القيادة الثورية للحزب الوطنى كانت المسئولة عن الحادث كما يتضح من مذكرات محمد فريد[٨٩] فان الوردانى قد تحمل مسئولية

---

(87) Blunt : My Diaries Vol . IIp. 306 .

(٨٨) انور الصيروسى : الجرائم السياسية فى مصر ج ١ ص ٢٨ .

(٨٩) مذكرات محمد فريد . كراس رقم ٩ ص ٢٤٦ .

هذا العمل وحده موضحا أن الذى دفعه الى ذلك هو توقيع بطرس غالى على اتفاقية السودان عام ١٨٩٨ والتى بمقتضاها أصبح للانجليز السيطرة الفعلية عليه واشتراكه فى المحكمة المخصوصة التى حاكمت المتهمين فى حادث دنشواى يضاف الى ذلك اعادته لقانون المطبوعات الذى سلط سيفه على رقاب الصحف • ثم اهانته لأعضاء الجمعية التشريعية أثناء مناقشة مشروع مد امتياز قناة السويس •

وقد حاولت الحكومة اجبار الوردانى كى يعترف على شركائه فى الجريمة ، ولكنه صمم على أنه هو الفاعل وأنه لم يشترك معه سوى اثنين هما يده وعقله[٩٠] ، وظل على موقفه هذا من بداية التحقيق معه حتى اعدامه •

وعلى أثر الحادث بدأت يد الاستعمار وأعوانه تنفث سمومها فأوعز البعض بأن سبب هذا الحادث يرجع الى التعصب الدينى وكادت لعبتهم تجد لها مرتعا خصيبا ، ولكننا نرى أن هذا الزعم غير صحيح فبطرس غالى لم يكن أول مسيحى يتولى الوزارة فقد سبقه نوبار ، وان السبب الرئيسى فى مصرع بطرس غالى كان ولاؤه الشديد للاحتلال ، وعقب ذلك عقدت المؤتمرات القبطية ، كما عقد المؤتمر المصرى الأول[٩١] تحت رئاسة رياض باشا ولكن حكمة الحكماء أوضحت أن حالة البلاد لا تسمح بتقسيم المصالح بين أبنائها تبعا لأديانهم[٩٢] •

---

(٩٠) محمود عاصم : المرافعات فى اشهر القضايا — المجموعة الجنائية الأولى القاهرة — لجنة نشر الثقافة القانونية ١٩٣٣ ص ٨٩ •

(٩١) عن هذا المؤتمر • انظر مجموعة أعمال المؤتمر المصرى الأول المنعقد فى هليوبوليس فى الفترة من ٢٩ ابريل الى ٤ مايو ١٩١١ القاهرة — المطبعة الأميرية ١٩١١ •

(٩٢) نفسه ص ٣ •

ومع أن الحزب الوطنى نفى عن نفسه أى علاقة بالحادث[٩٣] فان أنظار الحكومة اتجهت الى تفتيش منازل زعماء الحزب الوطنى[٩٤] فى محاولة منها لمعرفة مدبرى الحادث لذلك تأخرت محاكمة الوردانى حوالى شهرين ، ثم تم التحقيق معه فى جو من السرية فلم يسمح لمحررى الصحف حضور التحقيق ، وفى أثناء التحقيق وجه عبد الخالق ثروت النائب العمومى تهمة القتل العمد لابراهيم الوردانى فذكر أنه « قتل بطرس باشا عامدا متعمدا[٩٥] » كما وجه تهمة المشاركة فى الحادث لآخرين[٩٦] وقد طالب النائب العمومى باعدام الوردانى عملا بالمادة ١٩٤ التى تنص على أن « كل من قتل عمدا مع سبق الاصرار على ذلك أو الترصد يعاقب بالاعدام » وعندما سأل القاضى الوردانى عن أسباب قتله لبطرس غالى قال انها أسباب سياسية محضة وليس بينه وبينه أى ضغائن شخصية ولا دينية كما ذكر أنه ليس له شركاء[٩٧] .

وقد ذكر محمود أبو النصر أحد المحامين الذين دافعوا عن الوردانى بأنه يشك فى أن الرصاصات التى أطلقت على بطرس باشا كانت القاتلة[٩٨] وانما العطية الجراحية التى أجريت له فى المستشفى على أثر الحادث كانت السبب وان المصاب كان يمكن أن يعيش لو ترك وشأنه بدون عملية ، وقد دفع ذلك المحكمة الى عرض الأمر على اللجنة الطبية التى قامت باجراء العملية لبطرس غالى فقررت أن العملية كانت ضرورية وأن المصاب كانت اصابته مميتة وانتهت المحكمة بالحكم باعدام ابراهيم

---

(٩٣) اللواء فى ٢١ ، ٢٢ فبراير ١٩١٠ تحت عنوان « الحادث الخطير لوفاة رئيس النظار » و « قتل رئيس النظار » .

(٩٤) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٨ ص ٩٢٥ .

(٩٥) المرافعات فى اشهر القضايا ص ٩١ .

(٩٦) للتفاصيل انظر : المرافعات فى اشهر القضايا ص ٩١ .

(٩٧) نفسه ص ٩٢ .

(٩٨) نفسه .

الوردانى شنقا فى ١٨ مايو ١٩١٠ ونتيجة لذلك قام رجال الحزب الوطنى بمحاولات كثيرة لتخفيف الحكم على الوردانى فأرسلت آلاف التلغرافات الى الخديو يطلب فيها أصحابها تخفيف الحكم على الوردانى بحجة أن القضية لم يتوفر فيها شرط الاعدام[٩٩] ولكن محاولاتهم ذهب سدى .

وعلى كل حال فانه بمصرع بطرس غالى انتهت سياسة الوفاق بين الخديو والاحتلال فبموته أحس جورست أن رصاصات الوردانى قضت على آماله[١٠٠] .

---

(٩٩) دار الوثائق ، محافظ عابدين — ديوان خديو . التماسات جماعية محفظة رقم (١) تلغرافات .

(100) Storrs, Ronald : op. Cit p. 73 .